

الصهيوني الاخير ، دولة اسرائيل ، ذلك ان استمرار الهجرة وصولا الى تحول اليبشوف الى اكثرية ( في كل او بعض فلسطين ) يضمن تحول ميزان القوى لصالحه ، الامر الذي يوازى من الناحية العملية قيام دولة اسرائيل .

الحلقة المركزية في الاستراتيجية الفلسطينية ( اذا غامرنا باطلاق مصطلح حديث على سياسات تقليدية ) هي الاستراتيجية الصهيونية نفسها ولكن مقلوبة : ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين . هنا كانت نقطة الضعف القاتلة في السياسات الفلسطينية ، النقطة التي سهلت قيام اسرائيل ، ذلك انه لم يكن بوسع السياسات الكولونيالية الانكليزية الا ان تتعرض لضغوط وتأثيرات ، قد تصمد لها تارة ، ولكن قد تخضع لها تارة اخرى ، كما اثبت تاريخ ثلاثين عاما من الانتداب على فلسطين . لقد كان مطلب استقلال فلسطين ، ما دامت اكثريتها عربية ، في حال تحقيقه ، وحده الكفيل باغلاق نهائي لابواب الهجرة ، وبالتالي وقف تحول ميزان القوى لصالح اليبشوف . لا يمكننا الجزم ، بالطبع ، ان طرح مطلب الاستقلال والنضال في سبيله كان سينتهي الى نجاح اكيد ، لكنه يبقى الموقف الاكثر سدادا والاكثر عقلانية والاكثر انسجاما مع المصلحة القومية العربية ، كما انه يحل في طريقه مسألة الهجرة . وفي كل الاحوال ، فان طي مطلب الاستقلال تارة وعدم التركيز عليه تارة اخرى من قبل الحركة الوطنية الفلسطينية ( عدا حزب الاستقلال ، الذي بقي هامشي التأثير ) إنما يعكس النهج المتعاون مع الانتداب الذي سلكته هذه الحركة ، لا خوفا من قوة بريطانيا فحسب ، بل ايضا املا في سياسة انكليزية محابية اكثر فأكثر للعرب ، تقطع الطريق امام المشروع الصهيوني .

بالنسبة لليبشوف ، يبدو لافتا ، منذ الوهلة الاولى ، تعلقه بيوتوبيا تتمثل في عملية بناء الدولة اليهودية . هذه البيوتوبيا ، التي لم تضعف التصاقه بالواقعي ، بل جعلته يتشرب جملة من القيم والمثل منحته بسيكولوجيا ذات طابع ارادوي وكفاحي ورسالي ( رغم تناقض هذا مع الاستهانة بالغير ، العرب ، ومع محاولة اغتصاب وطن الاخرين ) ، عملت لاستبدال النمط النموذجي القديم لليهودي ، « العايش من الهواية ، بنمط نموذجي جديد يعيش على الشغل اليهودي ويرتبط بالارض . ولقد نهض ثوريون روس يهود ، ممن ساهموا في ثورة ١٩٠٥ المخفقة ثم تحولوا الى الصهيونية وهاجروا الى فلسطين ، بهذه المهمة ».

اضف الى ذلك ان اليبشوف منظم على عدة اصعدة : على الصعيد السياسي ، كان ثمة نوع من البرلمان المنتخب ومجلس تنفيذي يلعب دور حكومة تقريبا . على صعيد المدن ، الهستدروت ، الذي يشكل العمود الفقري للحركة الصهيونية ، ينظم ويؤطر شغيلة المدن . في الريف ، الكمبيوترات توظف وتعبئ الشغيلة المزارعين . يسبق كل ذلك « الهاغاناه » ( قوة الدفاع اليهودية ) ، التي تشكلت بشكل نصف سري في ١٩١٩ - ١٩٢٠ ، واستمرت تنمو كما وكيفا ، وقامت